مؤتمر دور كليات التربية في إصلاح التعليم
دمياط 12-13 نوفمبر 2005

خالد عبد المنعم*

عقد المؤتمر بالتعاون بين كلية التربية بدمياط - جامعة المنصورة ومركز الدراسات المعرفية في القاهرة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وشارك فيه كوكبة من العلماء والمفكرين. وكان هدف المؤتمر تحديد ما يمكن أن تقدمه كليات التربية في مصر لقيادة حركة الإصلاح التربوي وترشيدها، في ضوء إمكانياتها المادية والبشرية وبيان مدى قدرتها على تحقيق ذلك الإصلاح.

وتضمن برنامج المؤتمر إضافة إلى الجلسة الافتتاحية والختامية – خمس جلسات. وقد بدأت أعمال المؤتمر بجلسة افتتاحية تضمنت الترحيب بالمشاركين وعرض لفكرة المؤتمر وأهدافه. وقد تحدث في هذه الجلسة كل من: أ.د. رمضان عبد الحميد الطنطاوي، وكيل الكلية ومقرر المؤتمر، وأ.د. فاروق عبده فليه – عميد الكلية ورئيس المؤتمر، وأ.د. عبد الحميد أبو سليمان رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي وأ.د. عبد الرحمن النقيب – المستشار التربوي لمركز الدراسات المعرفية وأمين عام المؤتمر.

أولا: المحاضرات العامة

تضمن برنامج المؤتمر محاضرتين تحدث في الأولى الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي تناول فيها طبيعة الإشكال وطرق علاج الأزمات. وقد بين أنه بدون فهم طبيعة إشكال الأمة يصعب علاجها، وأشار إلى أن معظم حركات الإصلاح في الأمة اتجهت إلى النظام السياسي مع أن هذا النظام كان نتيجة وليس سببا في المشكلة. وأن المطلوب من الحركة الإصلاحية أن تعطي المجال للفكر أن ينقد ويشخص وضع الأمة حتى يتيح الفرصة الحقيقية للإصلاح، لينعكس الإصلاح بعد ذلك على تنمية قدرات الأمة التي هي رأس مال السياسي. وأكد المحاضر أن الأزمة هي أزمة نوعية، وأن الإسلام كان حركة في التاريخ لتجديد الحضارة الإنسانية وقدم منطلق التوحيد والسببية والعقل، أما الفكر المعاصر السائد في الغرب فهو فلسفة صراع وليس فلسفة سلام، فالقومية نظرة عنصرية، والماركسية صراع طبقات، والإسلام ينطلق من أن الإنسان من نفس واحدة والفروق بين البشر إيجابية، والعلاقة مع الآخر يحكمها السلام، وما يؤكد على الوحدة والتقارب وما يجمع الناس.

وبين أن ثقافة الأمة السائدة اليوم تتعارض مع مبادئ الإسلام، فالإسلام يدعو إلى الوحدة ولن تجد أمة متفرقة في العالم بقدر ما تجده في الأمة الإسلامية، والسبب في ذلك هو طبيعة الثقافة التي تُغيب البعد العام في الأمة، فالأمة مجرد أفراد، والخطاب السائد فيها خطاب فردي وترهيبي أنتج ثقافة الخوف وعدم المبادرة.

وأكد على ضرورة استعادة الروح والرؤية الكونية للأمة والبعد العام في الإنسان المسلم لتحقيق الاستخلاف، وعلاج نفسية العبيد التي تكونت لدى أفراد الأمة. وعلاجها في القرآن الكريم بضرورة

* المدير التنفيذي لمركز الدرسات المعرفية، بالقاهرة epistem@hotmail.com

الإصلاح العقيدي الفكري المنهجي ثم الإصلاح النفسي الدافعي، وأن المسئول عن الإصلاح هم مفكرو الأمة من جهة والوالدان من جهة أخرى. ثم أشار إلى الجامعة الإسلامية بماليزيا ودورها الفعال في تخريج طلاب يجمعون بين علوم الدنيا والدين، برؤية كونية توحيدية. ودعا كليات التربية إلى ممارسة الإصلاح في ضوء هذه الرؤية الكونية.

أما المحاضرة الثانية فكانت للأستاذ الدكتور/ محمد عزت عبد الموجود – أستاذ المناهج وطرق التدريس. وقد دعا المحاضر إلى أن يضع التربويون أيديهم في يد كل من يريد تطوير التعليم من الاقتصاديين والسياسيين؛ فالتنمية لا تتم بدون إنسان، وبدون تعليم جيد لن يتم إعداد إنسان جيد. وأشار إلى تخلف الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، وتعرضنا إلى غزو ثقافي أصابنا بما يسميه المفكر مالك بن نبي بالشيئية، حيث يتم الجري وراء الأشياء دون إدراك ما وراء ها، فلم تعد الأمة أمة قارئة. وأكد على أن مصر لم تشهد إصلاحا للتعليم بل مؤتمرات وملفات ورقية صرف عليها الكثير، لم تؤد في النهاية إلى حقن التكنولوجيا في جسد التعليم، وأشار إلى أن ما تنتجه كليات التربية لا علاقة له بالممارسات والمستقبل. ولا توجد لغة تخاطب أو حوار بين منتج البحث ومستخدمه.

ثم حدد بعض شروط جدية البحث في أن يكون موضوعيا منهجيا ويجب أن يكون الباحث عالما متواضعا يعبر بالفعل عن مشاكل المجتمع والعملية التعليمية. ثم حدد خمس إشكاليات بين المنظرين والباحثين وواضعي السياسة أهمها: إشكالية المنهج، وإشكالية محتوى البحوث، إشكالية الثقافة والقيم، وإشكالية اللغة والتخاطب والتوظيف والتطبيق، وأشار أيضا إلى تقارير المنظمات الدولية حول السياسة التعليمية في الدول النامية، التي أكدت على أنها غائبة عن فكر واضعي الخطط التعليمية، وأنه باستمرار ذلك ستستمر الدول النامية متخلفة عن التطور والتنمية.

وأشار إلى أن ما يعاب على بحوث التربية من أنها تدرس مشكلات الحاضر والماضي دون أن تتطرق إلى مخطط الأمة مستقبليا. وأشار إلى بعض الأفكار التي من الممكن أن تتبناها أجندة بحوث التربية للمستقبل من بينها، تحديد الحد الأدنى للتعليم، والحد الأدنى للمفردات اللغوية التي تحمي لغة الأمة، كيف نعلم التفكير الرياضي؟ كيف يتم تعميم برنامج للتعلم يحقق وحدة المعرفة ووظيفتها؟...الخ.

ثانيا: أوراق المؤتمر

وفي الورقة المعنونة:"تطوير كليات التربية مدخل لأداء دورها في تطوير التعليم" تناول الدكتور/ أحمد إسماعيل حجي أهمية تحديد رؤية كليات التربية ورسالتها والحرص على إدخال مقررات جديدة في مجال التخصص، والعمل على خلق مناخ يساعد على التطوير وإعادة هيكلة الأقسام العلمية وتنمية أعضاء هيئة التدريس والقيادات مهنيا.

وفي عرض أ.د. محمد علي نصر: "دور كليات التربية في تحقيق الجودة الشاملة في التعليم في مصر" أشار إلى طبيعة العصر وتحوله من عصر للمعرفة إلى مصادر عدة للمعرفة تعددت وتنوعت فيه العلوم بسرعة

مذهلة، مما ترك أثر إيجابي أو سلبي على المؤسسات التربوية والتعليمية، وحدد الباحث مجموعة من النقاط التي تساهم في تحقيق الجودة الشاملة.

ومن خلال "نموذج لتطوير كليات التربية" طرح أ.د. حسن حسين البيلاوي رؤيته الخاصة في تطوير كليات التربية وأهمية تبني كليات التربية لإطار مفاهيمي يحدد التوجه الفلسفي في بناء برنامج التطوير.

وفي بحث بعنوان "دور كليات التربية في إصلاح التعليم في مصر الواقع- التحديات- الطموح" أشار أ.د. حسين بشير محمود إلى أن إصلاح التعليم يمثل قوة ضاغطة على غالبية الدول والنظم باعتباره المنتج الأساسي للعقول والكفاءات العلمية والمهنية في كافة نواحي الحياة. ثم تحدث في بحثه عن مصطلحات هامة مثل: إصلاح التعليم، وكذلك مفهوم السياسة التعليمية، وتطرق إلى بعض جوانب القصور في عمليات التعليم قبل الجامعي.

وتناول أ.د. محمود أحمد علي شوق في بحثه المعنون: "تكوين عضو هيئة التدريس لكليات التربية ودوره في الإصلاح التربوي" الواقع الحالي لتكوين عضو هيئة التدريس مشيرا إلى أنه لا يمكن أن يرتفع التعليم في مجتمع فوق مؤهلات معلميه، وأن هناك علاقة بين إعداد المعلم وعضو هيئة التدريس وبين تقدم المجتمع وتخلفه، ثم أشار إلى مكونات البرنامج الحالي لإعداد عضو هيئة التدريس من الناحية القانونية والمهنية. ثم حدد أهم آفاق الإصلاح التربوي التي ينبغي أن يُعد له عضو هيئة التدريس في كليات التربية.

"الأبعاد الأخلاقية في الإصلاح الجامعي" كانت موضوع الورقة التي تقدم بها أ.د. رشدي أحمد طعيمة، وتناول فيها بيان دواعي الإصلاح الجامعي ومسوغات تطوير كليات التربية وإبراز البعد العالمي والعربي والمحلي للأخلاق وتحديد مواصفات الطالب الجامعي المستهدف.

وفي بحثه المعنون: "المنتج التعليمي دعوة إلى حوار" أشار أ.د. حسن شحاتة إلى أن النظام التعليمي مهما كان حجمه أو مؤسساته النظامية وغير النظامية يمثل موقعا مهما بين مختلف النظم، وأشار إلى الملامح الأساسية للنظام التعليمي كما ترسمه رؤى التعليم من ضرورة إعداد طلاب مسلحين بالمعرفة والمهارات والاتجاهات، تعليم مستمر يوظف وسائل الاتصالات في اكتشاف المعرفة وتطويرها، وكذلك تعليم يوفر بيئة تعليمية ذات تقانة متطورة واستراتيجيات تعليمية متميزة.

وقد تناول أ.د. عبد الفتاح إبراهيم تركي في بحثه "حاجتنا إلى فلسفة للتربية حاجتنا إلى الهواء والماء" أسس فلسفة التربية المنشودة في أن يكون لها مسارا خاصا يجعل من عملية بناء الإنسان بصلته وقبلته الأولى، ومن خصوصيات مجتمعنا وثقافتنا الزاد الذي تصاغ به المفاهيم والأفكار، ومن نتائج العلوم المنشغلة ببناء الإنسان الأرضية التي نتحرك عليها وأن تكون نقدية تختار من العلوم المساندة للتربية ما يتسق ووجهتها العامة وقيمها العليا.

واهتم أ.د. مجدي صلاح طه المهدي في بحثه "المرجعية الأمريكية للإصلاح وانعكاساتها على الواقع التربوي في مصر: دراسة تحليلية نقدية" بموضوع مثار على ساحة الإصلاح في العالم العربي والإسلامي، وذلك

من خلال المرجعية الأمريكية، والخوف الذي ينتاب هذه الدول من هذا التغير أن يؤدي إلى تطورات متسارعة يؤثر على قيمها ومبادئها. ويحدد الكاتب آليات لعملية الإصلاح من خلال الاعتماد على الذات، وتنمية الإنسان وإصلاح أحواله، وأن يكون الإصلاح عملية مستمرة ومشاركة فعالة من أفراد المجتمع، فبتلك الآليات يمكن تحقيق إصلاح يحقق أمل الأمة في التغيير إلى الأفضل.

وفي ورقة بعنوان "رسالة كليات التربية الثقافية" من إعداد أ.د. سعيد إسماعيل علي، لاحظ أننا نقبل ألا يكون هناك اتفاق بين الاسم والمسمى في بعض الحالات، فليست هناك علاقة حتمية بين شخص اسمه "عادل" وبين مدى عدله وسداد رأيه، وينصرف المثال الآن على ما يجري في كثير من كليات التربية والتي نأمل أن تصبح كليات التربية كليات للتربية، دون أن تقتصر على حد إعداد المعلمين. ويوسع الباحث مهمة التربية في المجتمع حيث يمكن أن تضم عدة فئات مثل المعلمين والإعلاميين والدعاة والآباء والأمهات؛ فهي عملية مجتمعية متكاملة.

وتحت عنوان: "دور كليات التربية في بناء المعرفة التربوية وإنتاجها وتحديثها" يتساءل أ.د. محمود قمبر عن الدور الوظيفي الذي تقوم به كليات التربية المصرية في إنتاج المعرفة التربوية؟ ويرى أن كليات التربية لم تنتج- بالمعنى الوضعي التأسيسي- معرفة تربوية، سواء كانت غربية أم إسلامية.

وأشار د. مهنى إبراهيم غنايم في بحثه المعنون: "البحث التربوي في خدمة المجتمع العربي" إلى أن هناك تحديات عديدة تواجه الدول النامية من أهمها التحديات في ثورة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، والتغير في مفهوم التعليم...الخ، وأن الوضع الراهن يشير إلى ضعف تحديات المؤسسات التعليمية في عالمنا العربي والإسلامي.

وقد حدد أ.د. محمد وجيه الصاوي في ورقته "كليات التربية ودور البحث في خدمة المجتمع- في ضوء ثورة المعلومات" ركيزتين أساسيتين تقوم عليهما الجامعة: الركيزة التعليمية، والركيزة البحثية حيث تعتبر الوظيفة البحثية من ركائز النهوض بالجامعة والمجتمع. ثم تطرق إلى واقع البحث العلمي في مصر والمشاكل التي تواجهه، وكذلك الاستثمار في مجالات البحث العلمي وضعفه مقارنة بالعالم الغربي.

ونوه أ.د. تودري مرقص حنا في بحثه "البحث التربوي مدخل لإصلاح التعليم" إلى التحديات التي تواجهها مصر من أجل التقدم وتحقيق الرفاهية في عصر المعلومات المتسارعة، وأكد أن جوهر المشكلة أن جهود التطوير لم تنطلق من فهم متكامل للواقع الحالي كما هو معاش فعلا.

واستعرض أ.د. حسن محمد إبراهيم حسان في ورقته "تطوير كليات التربية بين وجهة النظر المصرية والأمريكية: الموجهات- الآليات" المشروع الأمريكي لتطوير التعليم في مصر، ثم تحدث الباحث عن المشروع القومي للتطوير وأهدافه التي تنطلق كما يرى الباحث من الخصوصية المصرية. ويؤكد الباحث أن المشروع القومي نجح في تحقيق العديد من الأهداف المرجوة ولكن مازال هناك قصور في تحقيق البعض الآخر.

وبين أ.د. محمود عباس عابدين في ورقته "تفعيل دور كليات التربية في الإصلاح التربوي" أن المشكلة ليست في كليات التربية وخريجها، بل هي سمة عامة لمعظم خريجي الكليات في مصر والبحث العلمي أيضا، وطرح الباحث محاور خمسة يمكن من خلالها تفعيل دور كليات التربية في الإصلاح التربوي.

وتحدث أ.د. سيف الإسلام علي مطر في بحثه "دور كليات التربية في صنع القرارات التربوية" عن أن هناك قرارات اتخذت لتحسين وضع كليات التربية ولكن لم تأت بنتيجة تذكر بل أن المشكلات تفاقمت، ويرى أن دور كليات التربية في اتخاذ القرارات التربوية مهمش ويغيب عنه معظم أعضاء هيئة التدريس. وحدد بعض الشروط التي ينبغي توافرها لقيام كليات التربية بدور في صنع القرار.

وفي ورقته المعنونة: "جدلية التقدم والتخلف بين كليات التربية وآليات وتقنيات عمليات التعلم والتعليم بها، والظروف الحاكمة" تحدث أ.د. عبد الرؤف أبو السعد عن كفاح العلماء من أجل إدخال التربية الحديثة إلى العالم العربي، واليوم يناضل المفكرون من أجل إدخال التربية الصحيحة إلى عقول التربويين أنفسهم، ويؤكد على أن الفكر التربوي في المجال التعليمي حتمية حضارية ومدخل ثقافي إلى مجالات الحياة حيث مجالاته التنموية والتثقيفية.

وتوصل المؤتمر في نهاية أعماله إلى مجموعة من التوصيات من أهمها:

1. حاجة الإصلاح التربوي في مصر والعالم العربي إلى فلسفة تربية تقوده وترشده، تستمد مفرداتها من ثقافتنا العربية والإسلامية، وآخر ما وصلت إليه العلوم في شتي المجالات العلمية والإنسانية.

2. في مواجهة أجندة الإصلاح التربوي من وجهة النظر الأمريكية والغربية فإن أساتذة التربية مدعوون إلى ضرورة صياغة أجندة إصلاح، تنبع من هويتهم العربية والإسلامية، ومن واقعهم وتحديات العصر، مع الحفاظ على هويتنا العربية والإسلامية.

3. التأكيد على أن من رسالة كليات التربية العمل على نشر الثقافة التربوية اللازمة والمناسبة لكافة قطاعات المجتمع من أسر، ورجال إعلام، وعلماء دين ومفكرين ومثقفين وباحثين.

4. مناشدة جميع التربويين تجاوز مرحلة الاقتباس والنقل المطلق عن الغرب إلى مرحلة التأصيل العربي والإسلامي لعلومهم وبحوثهم التربوية والنفسية وجعلها جميعا في خدمة الأمة، ورسالتها الحضارية السامية .